

## من الآثار القبيحة للمعاصي ( ١١ )

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد،،  
**المعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب سبحانه :**

ومن أعظم أخطار المعاصي وأضرارها أنها تذهب من القلب تعظيم الرب جل جلاله، وتضعف وقاره في قلب العبد، شاء أم أبى، ولو تمكن وقار الله وعظمتته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدره حق قدره، فكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه أو يكبره، أو يرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه؟ وهذا من أكبر المحال، وأبين الباطل، وكفى بالمعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه.

### المعاصي تذهب الحياء :

ومن آثار المعاصي وعقوبتها أنها تذهب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه.

وفي الصحيح عنه \_صلى الله عليه وسلم\_ أنه قال: " **الحياء خير كله** " وقال \_عليه الصلاة والسلام\_ : " **إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت** " وفي الحديث تفسيران؛ **أحدهما**: أنه على التهديد والوعيد، والمعنى من لم يستح فإنه يصنع ما يشاء من القبائح، إذ الحامل على تركها الحياء، فإذا لم يكن هناك حياء يزعه عن القبائح فإنه يواقعها، وهذا تفسير أبي عبيدة.

**والثاني**: أن الفعل إذا لم تستح فيه من الله فافعله، وإنما الذي ينبغي تركه هو ما يستحي فيه من الله، وهذا تفسير الإمام أحمد.

فعلى الأول تهديد ووعيد، وعلى الثاني إذن وإباحة، واعتبار أحد المعنيين يوجب اعتبار الآخر، والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد، حتى ربما انسلخ منه بالكلية، وربما أصبح لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا بإطلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر هو عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل له على ذلك انسلاخه من الحياء، وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يبق في صلاحه مطمع، وإذا رأى إبليس طلعة

وجهه حياه وقال: فديت من لا يفلح، يعني فرحاً وسروراً من إبليس بهذا العبد الذي فقد الحياء. والحياء مشتق من الحياة.. فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا شقي في الآخرة، وبين الذنوب وبين قلة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكل منهما يستدعي الآخر وبطلبه حثيثاً، ومن استحى من الله عند معصيته، استحى الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستحي من الله تعالى عند معصيته لم يستحي الله من عقوبته.

### المعاصي تقتل الشهامة والغيرة :

لما كانت المعاصي والذنوب تذهب الحياء الذي هو حياة القلوب، فإنها كذلك تقتل الشهامة والنخوة والغيرة على النفس والخاصة وعموم الناس، والغيرة هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، وهي النار التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلامهم قدراً وهمة أشدهم غيرة، ولهذا كان النبي \_صلى الله عليه وسلم\_ أغير الخلق على الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه، كما ثبت في الصحيح عنه \_صلى الله عليه وسلم\_ أنه قال: **أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني** " وفي الصحيح أيضاً عنه \_صلى الله عليه وسلم\_ - أنه قال في خطبة الكسوف: **" يا أمة محمد ما أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته "** وفي الصحيح أيضاً عنه أنه قال: **" لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، ولا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك أثنى على نفسه "** فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي أصلها كراهة القبائح وبغضها، وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان، والله سبحانه مع كمال غيرته يحب أن يعتذر إليه عبده، ويقبل عذر من اعتذر إليه، من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إذاراً وإنذاراً، وهذا غاية المجد والإحسان، ونهاية الكمال.

( يتبع بالعدد القادم.. المعاصي تستدرج صاحبها لتقضي على الغيرة من قلبه )

من كتاب الجواب الكافي